على ضم العالم بين يديه، ولم يعد قادراً على احتواء جسد الأنثى وامتلاكه. إنه يلمس العالم فحسب، ويصافح المرأة فحسب. ولكنه لا يستطيع الاستحواذ عليها وضمها ومحاصرة جسدها (ص113). وهنا صارت الفحولة جسداً ناقصاً وصار الرجل رجلاً ناقصاً مثلما هي المرأة حسب زعم فرويد. وتسنى حينئذ ابتكار شخصيتين متساويتين ـ جسدياً ـ رجل من ورق وامرأة من ورق. وبذا صارت اللغة هي الوسيلة الممكنة للتواصل والتفاعل بين الشخصيتين بعد أن تم تحييد سلطة الفحل واستبعاد جبروته العضلي.

وجاء الرجل يحمل شهادته على جسده (ص369)، يحمل علامة نقصه وإشارة فحولته المخصية مثلما حملت المرأة من قبل علامة إثمها في رواية (الشارة القرمزية) لهوثورن. صار الرجل بيد واحدة، يد تسمح له بأن يرسم جسور مدينة قسنطينة، لكنها لن تمكنه من بناء أي جسر. ويد تسمح له بأن يرسم وجه امرأة ولكنها لن تمكنه من جسد المرأة (انظر حكايته مع كاترين ص 157).

تتأسس الرواية ـ إذن ـ من وقت مبكر على فكرة كسر الفحولة، ويتوفر من ذلك زمنان ثقافيان هما زمن الفحولة حينما كان خالد محارباً في الجبهة ويملك جسداً كامل الأعضاء. والزمن الثاني هو زمن الرجل الناقص، حيث صار بتر الذراع علامة على عصر ثقافي جديد يخرج الرجل فيه من الفحولة ذات السلطان المطلق واليد العليا فوق كل ما هو مؤنث، إلى حال جديدة تتخلى فيها الفحولة عن سلطتها المطلقة وتدخل في علاقة نسبية مع الأنوثة. وتتحدد شروط المواجهة ومجالاتها داخل نص مشترك. يشترك الرجل فيه مع المرأة في الكتابة، فمنه رواية ومنها رواية. منه ذاكرة ومنها ذاكرة. وكلتا الذاكرتين هما لجسدين ناقصين، واحد نقص بزعم فرويدي (فحولي) والثاني نقص بفعل نصوصي (أنثوي).